المقدمة

******

ظاهرة انتشار الاضطرابات النفسية عند الأطفال أصبحت فى تزايد مستمر وهذه ملاحظة تبينت صحتها بوضوح، وذلك من واقع عملى فى مجال الطب النفسى للأطفال والمراهقين الذى تخصصت به من واقع دراستى العملية والنظرية فى هذا المجال فى معهد الطب النفسى الملحق بجامعة لندن بإنجلترا.

وأصبحت الحالات المضطربة نفسيًا فى تزايد مستمر والتى تظهر بصور مختلفة منها: التبول اللاإرادى، صعوبات النطق، القلق النفسى، الاكتئاب، الوسواس القهرى، التأخر الدراسى، والفشل الدراسى.

كما تظهر بعض الحالات بصور اضطرابات سلوكية منها:

الكذب، السرقة، العدوانية، الهروب من البيت أو المدرسة، الإدمان.

أو تظهر بصورة انفعالية منها:

فقد الشهية للطعام، ونوبات الغضب لأقل سبب، نوبات الفزع الليلى، الخوف المتكرر دون مبرر، رفض الذهاب إلى المدرسة، نوبات البكاء المتكررة.. إلخ.

وبدراسة الأسباب التى تؤدى إلى هذه الأعراض، والتى أصبحت تنتشر بين أبناءنا التلاميذ فى كل المراحل، تبين أن المدرسين غاب عنهم دورهم التربوى فى تنشئة هؤلاء الأبناء الذين يعتبرون أمانة فى أيديهم.

فأصبح الطفل يلاقى متاعب فى المدرسة حيث يوجد المدرسات أو المدرسون الذين يعانون نفسيًا من متاعب الحياة وصعابها، فيصبون جام غضبهم، وينفسون عن أنفسهم مما يعانون بداخلهم من متاعب نفسية واجتماعية على الأطفال الأبرياء الذين يعتبرون ضحية هذا المجتمع غير المستقر، فيتجهون إلى ضربهم لأتفه الأسباب ويهددونهم بأقصى التهديدات والتعذيب بالضرب لأنه فى تصورهم أن هذا التهديد سوف يحمسهم للعمل والتحصيل.

ولكن هذا الأسلوب فى معاملة الأطفال الذى أصبح يجتاح مدارسنا الآن فى كل المراحل على نطاق واسع، أسلوب بعيد كل البعد عن أصول التربية النفسية السليمة.

فالمعلمون لا يدركون أن هذه البراعم الصغيرة تعانى القسوة والضرب والإهانة بصورة مستمرة فى البيت أيضًا، حيث يقابلون الأم العاملة المرهقة التى تعانى من التوتر النفسى لما تلاقيه فى عملها، وفى رحلة العذاب فى المواصلات إلى منزلها فتلجأ إلى القسوة والضرب لأتفه الأسباب.

وبذلك يعانى الطفل من القسوة والضرب فى المنزل وفى المدرسة، الأمر الذى يؤدى إلى اضطراب الطفل نفسيًا ومعاناته من الأعراض النفسية المختلفة التى تم ذكرها.

وتؤدى فى النهاية إلى فشله الدراسى أو رفضه الذهاب إلى المدرسة. إلخ الأمر الذى يؤدى إلى الالتجاء إلى العلاج النفسى لإصلاح ما أفسده البيت والمدرسة. الأمر الذى دفعنى إلى وضع هذا الكتاب الذى يوضح:

دور الأسرة، ودور المدرسة، ودور المدرس الذى يعتبر بالنسبة للتلميذ بقيامه بدور الأب، والمشرف، والخبير، والمعلم، والصديق، والموجه والمعالج.

وتختلف أهمية الدور الذى يقوم به وفق شخصيته من ناحية، وسن التلاميذ الذين يشرف عليهم من ناحية أخرى. وأيًا كان الدور الذى يقوم به فعليه تقع مسئولية جسيمة فى ضرورة فهم دوافع السلوك ومشكلاته، وكيفية معالجة الانحرافات الصغيرة فى مهدها. لأن معظم مشكلات التلاميذ يمكن أن تخضع للتوجيه المستنير. لذلك يجب أن يكون المدرس متزنًا، ناجحًا، خالياً من عوامل القلق، مؤمنًا برسالته، متفانيًا فيها من دافع إيمانه بقدسيتها فيعطى التلميذ الفرصة لإشباع حاجته للنجاح.. فالنجاح هو الذى يجعل التلميذ يثق فى نفسه، ويشعر بالأمن ويبذل المحاولات العديدة لتحسين سلوكه ونمو شخصيته.

وكذلك فإن علاقة الطفل بأسرته ستتحدد إلى درجة كبيرة بالاشتراك مع ما يملكه من قدرات واستعدادات أى فرد سيكون فى المستقبل.. لذلك لكى نحقق للطفل أى رجل المستقبل الحياة المستقرة المثمرة البعيدة عن كل الصراعات النفسية، ينبغى أن نوفر له الحب والعطف الذى يشبع حاجاته إلى الشعور بالأمن والطمأنينة، ويجنبه الخوف والقلق والشعور بالحرمان والتعاسة إذا لم تشبع هذه الحاجات.

ولتحقيق هذا الهدف يحتاج إلى فهم واعٍ من الوالدين لحاجات الطفل، والعوامل التى تؤدى إلى استقراره وتدعيم شعوره بالقبول والثقة بالنفس حتى يمكنه الاطمئنان إلى هذا العالم الكبير من حوله وتحمل مسئوليات الحياة فيه بكفاح ونجاح.